الفُتُوَّة عند العرب

الفُتُوَّة في الأصل هي جُملة أخلاق وأعراف عربية إسلامية، يتميّز حاملها بصفات الفروسية من شهامة ووفاء وأمانة وشرف، وشباب وسخاء ومروءة، وقوة وعفو وصدق، ورحمة وبرّ وكرم، وحلم وتواضع واحتمال ورزانة، وإعانة الضعيف وحمايته، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، والوفاء بالوعد.

والفُتُوَّة في اللغة: السخاء والكرم، والمروءة، والشباب، وبمعناها التنظيمي: الشجاعة والقوة وإباء الضيم. وعن الحارث المحاسبي: "الفتوّة أن تُنْصِفَ ولا تُنْصَف". وعنها قال الشاعر:

إن الفتى حَمَّالُ كل مُلِمَّةٍ ليس الفتى بمُنَعَّمِ الصبيان

ورد ذكر الفتوَّة في الأحاديث النبوية الشريفة، فقد روى الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: "لفتيان أمتي عشر علامات" قال: يا رسول الله هل لأمتك فتيان. قال: "نعم ــ وأين الفتوّة الأولى من فتوة أمتي". قال: وما تلك العلامات يا رسول الله. قال: " صِدْق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الكذب، والرحمة لليتيم، و،إعطاء السائل، وبذل النائل، وإكثار الصنائع، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء.....".

كما روى الفضيل بن عياض، شيخ الفتيان، قال: حدّثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبي حازم [سلمة بن دينار]، عن سهل بن ساعد الساعدي، قال: قال رسول الله ﷺ: "ليأتي على الناس زمان تعدم فيه الفتوة، وتنقص فيه المروءة، وتضيق فيه الأخلاق، ويستغني الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، فإذا كان ذلك فانتظروا العذاب، صباحاً أو مساء".

وعن عمر بن الخطاب أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري: "أمّا بعد فإن الخير كله في خلّتين: الرضا، والفتوّة، فإن لم تستطع الرضا فعليك بالفتوّة، وهي الصبر على المكاره، ألم تر إلى إبراهيم (عليه السلام) حين صبر على كلّ بليّة فصارت نعمة وعطيّة. صبر إلى إلقائه إلى النار فصارت برداً وسلاماً، وصبر على ذبح ولده ففدي بذبح عظيم. وصبر يوسف على الجبّ والسجن فنال مُلكَ مصر وقال له اخوته: "لقد آثرك الله علينا".

ثم نُسبت الفتوّة إلى الإمام علي بن أبي طالب "كرم الله وجهه"، وعن النبي ﷺ أنه قال: "أفْتَاكُم عليّ" فقال عليّ: يا رسول الله وما الفتوة. قال: "هي شرف يتشرّف به أهل النجدة والسماح، وأنت يا عليّ فتى، وابن فتى، وأخو فتى". فقال عليّ: يا رسول الله من أبي، ومن أخي من الفتيان. قال: "أبوك إبراهيم خليل الرحمن، وأخوك أنا، وفتوّتي من فتوّة أبيك، وفتوّتك مني".

وقال السكتواري في كتابه "محاضرة الأوائل": أول من قيل في حقه (لا فتى إلا عليّ) يوم أُحُد، وذلك أن الرسول ﷺ أعطى الراية لعليّ "كرم الله وجهه" حين قاتل هو ورجال من الصحابة الكرام وروي أنه لمّا اشتدّ القتال يوم أُحُد جلس رسول الله تحت راية الأنصار وأرسل إلى عليّ أن قَدِّم الراية فتقدّم ونادى بين الصفوف: أنا أبو القصم، وقاتل وبارز حتى قيل في حقّه: "لا فتى إلا عليّ". وزِيْد بعد ذلك لمّا انتقلت إليه وصاية ووراثة السيف الشهير المسمّى "بذي الفِقَار" قول الأخيار العلوية: (لا سيف إلا ذو الفِقَار) وهو كان اسم سيف النبي أهداه له المُقَوْقَس[١]، وفي بعض الأخبار أصابه في غنيمة خيبر"[٢].

وعن ابن المعمار البغدادي في (كتاب الفتوّة) قوله: وأمّا عن الأثر المشهور، فما ورد أن عليّاً "كرم الله وجهه" لمّا ضرب مرحبا اليهودي فقتله هتف الهاتف:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

طقوس الفتوّة في العصر العبّاسي: استمر هذا التنظيم خلال الحقب الإسلامية المتعاقبة، يقوى تارة ويضعف أخرى، إلى أن عمل على إحيائه الخليفة العبّاسي الناصر لدين الله أحمد[٣]، لكنه فرّغه من مضمونه الأخلاقي الأصلي وجعله طقوساً وتنظيماً يخضع للخليفة وأهوائه ورغباته. فقد ذكر ابن واصل في مصنّفه (مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب) قوله: "ودخلت سنة ٦٠٧ هـ [١٢١٠م]... وفي هذه السنة وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوّة[٤]، ويلبسوا له سراويلها[٥] ويكون انتماؤهم إليه، ورعية كل ملك يشربون لذلك الملك ويلبسون له. ففعلوا ما أمروا به، فانتسب الملوك إليه في رمي البندق[٦] ، وجعلوه قدوتهم فيه". وقد أحضر كل ملك قضاة

مملكته وفقهاءها وأمراءها وأكابرها وألبس كلاً منهم له وسقاهم كأس الفتوّة، وقد انضمّ إليها ولبس سراويلها ملك غزنة والهند وصاحب جزيرة كيش[٧] شهاب الدين محمّد غوري بن سام المتوفى نحو ٥٥٦ هـ، وأتابك سعد صاحب شيراز[٨]، وفي سنة ٦٣٤ هـ قدم بغداد وانتسب إليها نور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهرزور، كما انتسب إلى الفتوّة في العهد الأيوبي الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن نجم الدين أيوب "المتوفى ٦١٥ هـ"، وكذلك أولاده الملك المعظّم شرف الدين عيسى "المتوفى ٦٢٤ هـ" والملك الأشرف مظفّر الدين موسى "المتوفى ٦٣٥ هـ)" والملك الكامل ناصر الدين محمّد "المتوفى ٦٣٥ هـ"، كما انتسب إليها صاحب حلب الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي "المتوفى ٦١٣ هـ"، وصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمّد بن الملك المظفّر تقي الدين عمر "المتوفى ٦١٧ هـ".

وأرسل الناصر سراويل الفتوّة إلى ملك الروم في آسية الصغرى عز الدين أبو المظفّر كيكاوس بن كيسخرو بن قِليج أرسلان الثاني السلجوقي "المتوفى ٦١٥ هـ" فلبسها، ومن بلاد الترك انتقلت الفتوّة إلى أوروبة حتى أن أحد أمراء الألمان أرسل برسالة إلى الخليفة الناصر يرجوه أن يقبله في فتوّته ويكون من رفقائه وأتباعه.

ويقول سبط بن الجوزي في مصنّفه "مرآة الزمان"، وكذلك أبو شامة المقدسي في "ذيل الروضتين": "في سنة ٥٥٩ هـ بعث الخليفة الناصر لدين الله بالخلع وسراويل الفتوة إلى الملك العادل الأيوبي وأولاده مع عليّ بن عبد الجبّار ويوسف العقاب، فلبس الملك العادل الخلع والسراويل في رمضان بدمشق".

وتحوّلت الفتوّة في عهد الناصر لدين الله إلى طقوس ومراسم تتميّز بكثير من الشكليات وتشبه إلى حدّ كبير تلك التي تعتمدها بعض التنظيمات السياسية أو الاجتماعية في العصر الحديث، فالمنتسب الجديد إليها يجب أن يحصل على ترشيح عدد من أعضائها قبل البتّ في قبوله فيها، ثم يُقام له احتفال طقسي خاص يحزم خلاله بحزام يحمل معنى "شدّة العقد"، ثم يتبع ذلك شرب كأس الفتوّة، ولبس سراويل الفتوّة.

وعن القلقشندي في مصنّفه "صبح الأعشى" قوله فيما يُكتب به في إلباس الفتوّة: "إعلم أن طائفة كبيرة من الناس يذهبون إلى إلباس لباس الفتوة، ويقيمون

لذلك شروطاً وآداباً جارية بينهم. ينسبون ذلك في الأصل إلى أنه مأخوذ عن الإمام عليّ "كرّم الله وجهه".

والطريق الجاري عليه أمرهم الآن أنه إذا أراد أحدهم أخذ الطريق عن كبير من كبراء هذه الطائفة، اجتمع من تيسّر جمعه، وتقدّم ذلك الكبير فيلبس ذلك [بياض في الأصل] ثياباً، ثم يجعل في كوز أو نحوه ماءً ويخلط به بعض الملح، ويقوم كلّ منهم فيشرب من ذلك الماء وينسبه إلى كبيره. وربما اعتنى بذلك بعض الملوك.

مدلولات الشَّدّ ولبس السراويل والماء والملح

يشرح ابن المعمار البغدادي معاني طقوس الفتوّة على النحو التالي:

آ – **الشَّدّ:** رمز يقصد به القوة والاشتداد والتعصيب، قال تعالى: {أشدد به أزري} وهو أيضاً عهد وعقد، لقوله تعالى: {أوفوا بالعقود}.

ب – **السراويل:** الحكمة في السروال أنه ساتر للعورة، وهي ما بين السرّة والركبة، ويحمل أيضاً معاني ستر الفواحش والكفّ عنها.

ج – **الماء:** ومن صفاته: هو أحد عناصر الحياة الأربعة، النباتات والحيوانات والمعادن. وهو أصل الخليقة لقوله تعالى: {خلق من ماء دافق}. وبشربه يعيش ويحيا كل شيء، قال تعالى: {وجعلنا من الماء كلّ شيء حي}. وإن شربه بقاء الآدمي. وهو يطهّر من الأحداث والأنجاس. ويزيل الدرن والأوساخ. وفي الآخرة يُطهّر قلوب المؤمنين، قال تعالى: {وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً}.

د – **الملح:** يقولون في العرف: فلان يحفظ الملح، وفلان ضيّع الملح، والمثل المعروف اليوم [صار بيننا خبز وملح]، والملح من المواد الحافظة، والحكمة في شرب الماء والملح أن الماء عذبَ والملوحة ضدّ العذوبة، فكأن فيه إشارة إلى أن الفتى ينبغي أن يصبر على البأساء والضرّاء وأن يحمد على البلاء ويشكر على النعماء، وأن يحمل الرفيق في كل رحب ومضيق.

طقوس ترسيم العضو الجديد

عن ابن المعمار البغدادي في كتاب الفتوة: "كانت العادة عند إقامة مراسم تكريس العضو الجديد أن يشرع النقيب [من رتب الفتوة] بالسلام على الجماعة، والعادة شدّ وسطه خدمة للفتيان، هذا بعد أن يستأذن زعيم القوم، والطالب والمطلوب، ويحمد الله تعالى ويثني عليه ويذكر النبي ويصلي عليه، ويدعو لإمام العصر ولنائبه في تلك الأرض.

ثم يذكر من آيات القرآن [الكريم] ومن أخبار الرسول ﷺ ما يوافق، ثم يذكر فضل الفتوّة، ويحثّ على الدخول فيها، وينبه الفتى على ما يُندب إليه، من فعل المكارم واجتناب المحارم.

ثم يأمر الطالب أن يقوم، ويأخذ بيده، ويستنطقه لمن يريد من الجماعة، ثم يقول: يا معاشر السادة الحاضرين والفتيان المخلصين، إن فلاناً – ويُثني عليه بما هو أهله – ويسميه بأحسن ما يدعى به، لقوله تعالى: {وقولوا للناس حسناً}، معناه قولوا لهم ما تحبون أن يقال لكم – يسألكم بالوجه الذي تسألون الله به أن تسألوا السيّد المقدم فلاناً – ويحليه بما يصلح له – أن يقبله رفيقاً في الفتوة.

فحينئذ يقوم الجماعة، ويقول النقيب للمطلوب: أيها السيّد فلان، إن هؤلاء السادة يسألونك أن تقبل فلاناً رفيقاً في الفتوّة، فيقول: السمع والطاعة لله ولرسوله ثم للجماعة ثم يتدانى الإلزام والنقيب يشدّ وسطه بما يشد به ويلبسه السراويل جالساً، ويشدّه قائماً، ويتولى الكبير شدّ العقد بيده، أو بوكيله.

ثم يقول النقيب: هذا عهد الله بينكما على التمسّك بشروط الفتوّة، ثم يشرب. وصفة الشرب أن يبدأ بزعيم، ويختم بمقدّم، وأن يكون القدح فيه ماء وملح، ويكره الشرب في كأس تُشرب في مثلها الخمر، ويستحبّ أن يتناول القدح بيمينه ثم يقول: السلام عليكم أيها الفتيان، أو السلام عليكم وعلى جميع الفتيان، ويردّ السلام النقيب لأنه لسان الجماعة".

نصّ شهادة تُمنح للمنتسب إلى الفتوّة في العصر المملوكي
(وكانت تُعرف بالتوقيع)

وعن القلقشندي: ((جرت العادة في ذلك أنه إذا ألبس السلطانُ واحداً من الأمراء أن يكتب له بذلك توقيعاً [المقصود وثيقة الانتساب]: وهذه نسخة توقيع بفتوّة، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وهي: الحمد لله الذي جعل أنساب الفتوّة، متّصلة بأشرف أنساب النبوّة، وأفضل من أمدّه منه بكلِّ حَيْل وقوّة، وأسعد من سَما فكان عليّاً على كل من سام علوّه.

نحمده حمداً تغدو الأفواه به مَمْلُوَّه، ونشكره على مواهبه بآيات الشُّكْر المتْلُوّه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من جعل إلى منهج التوحيد رَواحه وغُدُوّه، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي شدّ الله أزره بخير من أفتى وفتّى فنال كل فَتَوِيٍّ من الفتيان به شرف شرف الأبوَّة والبنوّة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصروا وليَّه وخذلوا عدوّه، صلاة موصلة إلى نيل الأماني المرجُوَّه.

وبعد فإن خير من اتّصل به رجاءُ الرجال الأجواد، وطوى البعيد إلى تحصيل مرامه كل طود من الأطواد، وأماط عن مكارم الأخلاق لثامَ كل جود وامتطى ظهر خير جواد، واستمسك من ملابس الشرف بما يؤمِّن ويؤمِّل، وما يشدّ به من كل خير لباس التقوى، وما تؤيَّد به عزيمته فتقوى، وما يتقيّد به على رُؤوس الأحزاب، وما يتنزل به عليه أحسن آية من هذا الكتاب – من اشتهر بالشجاعة التي تقدّم بها على قومه، وجَمدَ أمسها في يومه، وبالشهامة التي لها ما للسهام من تفويق، ولزُرْقِ الأسنة[٩] من تحذيق، ولبِيْضِ الصِّفاح[١٠] من حدّة متون، وللسَّمْهَرِيَّة[١١] من ازدحام إذا ازدحمت المنون، ومن صدق العزيمة، ما يشهد به كَرَم الشيْمَة، ومن شدّة البأس، ما يجتمع [به] على طاعته كثير من الناس، ومن صدق اللهجة واللسان، ما اتّصف عفافُه منهما بأشرف ما يتّصف به الإنسان، ومن طهارة النفس ما يتنافس على مثله المتنافسون، ويستضيء بأنواره القابسون، ويرفل في حلل نعمائه اللابسون، و[كان] من الذين أبانوا عن حسن الطاعة وأنابوا، وإذا دعوا إلى استنفار جهاد واجتهاد لبّوا وأجابوا، والذين لا يَلْوُون ألسنتهم عن الصدق، ولا يولّون وجوههم عن الحق، والذين لا يقعدهم عن بلوغ الأوطار مع إيمانهم حُبُّ الأوطان، وإذا نفذوا في حَرْبِ حِزْب الأعداء لا ينفذون إلا بسلطان.

ولمّا كان فلان ذو المفاخر، والمآثر، أمير الفتيان، مميّز الإخوان والأعيان، هو صاحب هذا المَحْفِل المعقود، والممدوح بهذا المقال المحمود، والممنوح بهذا المقام المشهود، والثَّناءَ الذي سَرَّباله بما سَرْبَلَه أثواب العزّة والفخار، والاعتناء الذي استخير الله في اصطفائه واختياره في ذلك فخار – اقتضى حسن الرأي الشريف – كرّم الله أنصاره، وأعلى مناره – أن نجيب وسائل من وقَفَ في هذا القصد وقفة سائل، لينال بذلك كلّ إحسان وإحسان كل نائل، ودعا إلى الكريم العامِّ بالإنعام، والدعاء لسلطان يُدعى له ويدعو كل الأنام، فقال: أسأل الله وأسأل سلطان الأرض، ملك البسيطة إمام العصر، رافع لواء النصر، ناصر الملّة المحمدية، محيي الدولة العبّاسية، فاتح البلاد والقلاع والأمصار، قاهر الكفّار مبيد الفرنج والأرمن والتتار، سلطان الزمان، خُسْرُوان إيران[١٢]، شاهنشاه القان[١٣]، سلطان العالم وارث المُلك، سلطان العرب والعجم والتُرْك، الذي انتهى إليه عن أمير المؤمنين الإمام الأوّاب، المغوار، عليّ بن أبي طالب ذي الفَخَار، شَرَف الفتوّة واتصال الأنساب)).

نصّ شهادة تُمنح للمنتسب إلى رمي البندق في العصر المملوكي (وكانت تُعرف بالتوقيع)

وحول رماة البندق يقول القلقشندي : ((وقد جرت العادة أنه إذا كان للسلطان عناية برمي البندق ، أقام لرماته حاكماً من الأمراء الذين لهم عناية برمي البندق، وهذه نسخة توقيع من ذلك: الحمد لله الذي خصّ أيامنا الزاهرة ، باستكمال المحاســن في كلّ مرام ، وجعل [من] أولياء دولتنا القاهرة، من أصاب من كل مرمى بعيد شاكلة الصواب حتى أصبح حاكماً فيه بين كل رام، وجمع لخواصّنا من أشتات المفاخر إذا برزوا فيه للرياضة ليلاً [بياض في الأصل] قسيُّهم عن الأهلة ورجومها عن رجوم الظلام ، وسدّد مقاصد أصفيائنا في كل أمر فما شغلوا بمســرّة سرٍّ إلا وكانت أقوى أسباب التمرُّن على خوض الغمرات العظام، واقتحام الحرب اللُّهام، واشتمال جلابيب الدُّجى في مصالح الإسلام.

نحمده على نعمه الوسام، وأياديه الحسام، وآلائه التي ما برحت بها ثغور المسارّ دائمة الابتسام، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم من الزلل، وتؤمّن من الزَّيْغ والخَلَل، وتُلبس المتمسّك بها من أنوار الجلالة أبهى الحُلل، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المنزَّه عن الهوى، المخصوص بالوحي الذي علّمه

شديد القُوى، الدّال على اعتبار الأعمال بصحة القصد بقوله صلّى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرىء ما نوى). صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين وفّق الإخلاص مساعيهم، ووفّر الإيمان دواعيهم، صلاة دائمة الاتصال، مستمرّة الإقامة بالغدوة والآصال، وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإنه لمّا كان رمي البندق من أحسن ما لَهَت به الكُماة[١٤]، في حال سِلْمها، ومن أبهج ما حفظت به الرُّماة، حياة نفوسها وعزّة عزمها، على ما فيه من اطِّراح الراحة واجتنابها، واستدعاء الرِّياضة واجتنائها، وخوض الظلمات في الظلام، وتوخي الإصابة في غمرات الدجى التي تَحْفَى فيها المقاتلُ على حَدَق السِّهام، وارتقاب ظفر، يُسفِر عنه وجهُ سَفَر، ومهاجمة خطر، تُفضي إلى بلوغ وَطَر – وله شرائط تقتضي التقدّم بين أربابه، وقواعد لا يخالفها من كان مبرّزاً في أصحابه، وأدوات كمال، لا بُدّ للمتحلي بهذه الرتبة منها، وحُسْن خِلال، تُهْدَرُ أعمال من بَعُد عليه مَرامُها وقَصُرت مساعيه عنها، وعوائد معلومة، بين أرباب هذا الشأن وكبرائه، ومقاصد مفهومة، فيما يتميّز به المُصيب الحاذق على نظرائه.

ولمّا كان الجناب العالي الفلاني ممّن يشار إليه في هذه الرتبة ببنان الترجيح، ويُرجع إلى أقواله فيما اقتضى التعديل فيما بين أربابها والتجريح، ويُعمل فيها بإشارته الخالصة من الهوى والأغراض، ويعوّل فيها على قدم معرفته المميّزة بين أقدار الرُّماة مع تساوي إصابة الأغراض، لاحتوائه على غايات الكمال فيها، وسبقه منها إلى مقامات حسان لا يعطيها حقّها [إلا] مثله ولا يوفّيها – اقتضى رأينا الشريف أن نَعدِق به أحكامها، ونردَّ إلى أمره ونهيه كبراءها وحكّامَها.

فرُسم بالأمر الشريف أن يكون حاكماً في البندق لما يتعيّن من اختصاصها بجَنَابه، ويتبيّن من أولويته بالحكم في هذا الفنّ على سائر أربابه)).

أقول: نلاحظ من نصيّ القلقشندي – وهما بلغة اليوم شهادة أو براءة أو وثيقة – أنهما من العهد المملوكي، ويملأهما التنميق والتدبيج والتفخيم والمديح وإطلاق صفات التعظيم، واعتماد السجع والحشو والإطالة في اختيار الكلمات والعبارات، وهي من مميّزات ذلك العهد. وأحمد الله أن الشهادات التي تُمنح في زماننا تعتمد مبدأ (خير الكلام ما قلّ ودلّ) وإلا لما رضي أحد أن يقرأها.

ويقول جرجي زيدان في "تاريخ التمدّن الإسلامي" حول تنظيم الفتوّة: "كان الفُرس يرمون البندق عن الأقواس كما يرمون النبال، واقتبس العرب هذه اللعبة في أواخر أيام عثمان بن عفّان، وعدوا ظهورها في المدينة منكراً ثم ألفوها حتى أنهم شكّلوا فرقاً من الجند ترمي بها. وكان عند الرشيد فرقة يقال لها (النمل) تسير بين يديه ترمي البندق على من يقف في طريق الموكب. وكان رماة البندق في العصر العبّاسي طائفة كبيرة يخرجون إلى ضواحي المدن يتسابقون في رميه على الطير ونحوه ويعدون ذلك من قبيل الفتوّة، ويغلب في رماة البندق أن يشتغلوا بتطيير الحمام. ولهم زيّ خاص يمتاز بسراويل كانوا يلبسونها ويسمّونها سراويل الفتوّة، وكان العيّارون من أهل بغداد يلبسونها في أواخر الدولة. حتى إذا أفضت الخلافة إلى الناصر لدين الله العبّاسي المتوفى سنة ٦٢٢ هـ جعل لرمي البندق شأناً، لأنه كان ولعاً به وباللعب بالحمام المناسيب (أي المنسوب ذي الأصل المعروف) وكان يلبس سراويل الفتوّة. وقد بلغ من رغبته في ذلك أن جعل رمي البندق فنّاً لا يتعاطاه إلا الذين يشربون كأس الفتوّة ويلبسون سراويلها، على أن يكون بينهم روابط وثيقة نحو ما عند بعض الجمعيات السرّية. وجعل نفسه رئيس هذه الطائفة يُدخل فيها من شاء ويحرم من شاء. وكتب سنة ٦٠٧ هـ إلى ملوك الأطراف الذين يعترفون بخلافته أن يشربوا له كأس الفتوّة ويلبسوا سراويلها، وأن ينتسبوا إليه برمي البندق ويجعلوه قدوتهم فيه، فأجابوه إلى ذلك فمن أراد الانتظام في سلك هذه الطائفة يأتي بغداد فيلبسه الخليفة السراويل بنفسه.. فبطلت الفتوّة في البلاد جميعها إلا من لبسَ سراويلها منه، ومنع الرمي بالبندق إلا من ينتسب إليه. فأجابه الناس في العراق وغيره إلا إنساناً اسمه "ابن السفت" من بغداد هرب إلى الشام، فأرسل الخليفة إليه يرغّبه ببذل المال ليرمي عنه وينتسب في الرمي إليه فلم يفعل فلامه بعضهم على ذلك فقال:يكفيني فخراً أنه ليس في الدنيا أحد لا يرمي للخليفة إلا أنا".

الهوامش

(١) **المُقَوْقَس**: اسم أطلقه العرب على كورش) وزير حاكم مصر البيزنطي وبطريرك الاسكندرية لمّا فتح عمرو بن العاص مصر في جمادي الآخرة من سنة ٢٠ هـ/٦٤١م.

(٢) **خَيْبَر**: غزوة الرسول ليهود خيبر وفتح مدينة خيبر وحصونها السبعة سنة ٧ هـ/٦٢٨م.

(٣) الناصر لدين الله: الخليفة العبّاسي الرابع والثلاثون، تولى سنة (٥٧٥ هـ) وتوفي (٦٢٢ هـ).

(٤) **كأس الفتوّة**: مزيج من الماء والملح يشربه المنتسب الجديد كناية عن صيرورته واحداً من أعضاء التنظيم، ولعل المثل العربي المعروف (صار بيننا خبز وملح) مأخوذ منه.

(٥) **سراويل الفتوة**: لباس خاص يرتديه أعضاء التنظيم فقط مما يسمح لهم دون غيرهم برمي (البندق).

(٦) **البندق**: كرات من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها تشبه اليوم خردق الصيد الكبير. والكلمة فارسية بلفظها واستعمالها، ويسمّونها الجلاهقات جمع جلاهق، وأخذها العرب فسمّوا بها السلاح الناري الفردي: (البندقية).

(٧) **جزيرة كيش**: ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال: جزيرة في وسط البحر تُعدّ من أعمال فارس.

(٨) **شيراز**: مدينة في جنوب غربيّ إيران، بجبال زاغروس، وهي قاعدة إقليم فارس، تشتهر بصناعة السجّاد المنسوب إليها.

(٩) **الأسنَّة**: نصال الرماح

(١٠) **بيض الصِّفاح**: السيف شديد العرض لا الحَدّ.

(١١) **السَّمْهَرِيَّة**: الرماح الصلبة، يقال: رمح سَمْهَريّ، ورماح سَمْهَرِيَّة.

(١٢) **خُسْرُوان إيران**: ملوك إيران وسلاطينها.

(١٣) **شاهنشاه القان**: صفة مؤلفة من مقطعين: شاهنشاه وتعني ملك الملوك، والقان هو الرئيس أو السيّد عند التتار.

(١٤) **الكُماة**: مفردها الكَميّ: وهو الشجاع المقدام الجريء، وكذلك لابس السلاح، تُجمع على كُماةٌ، وأكماء.

مصادر البحث

- مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب: ابن واصل ٢٠٦/٣ وحاشية ٢ تحقيق د. جمال الدين الشيّال، الاسكندرية، ١٩٦٠
- المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء): الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل أبي الفدا ١١٣/٣ (حوادث سنة ٦٠٧)، مكتبة المتنبي، القاهرة (بلا تاريخ).
- الكامل في التاريخ: ابن الأثير (حوادث سنة ٦٢٢ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٩٨٦
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أبي العبّاس أحمد بن علي القلقشندي ٢٧٤،٢٦٩/١٢ المؤسّسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣
- كتاب الفتوّة: أبو عبد الله محمد بن أبي المكارم المعروف بابن المعمار البغدادي الحنبلي، ٦٧ ،٢٣٤، ٢٥١ – ٢٥٥ تحقيق الدكاترة مصطفى جواد، ومحمد تقي الدين الهلالي، وعبد الحليم النجار، وأحمد ناجي القيسي، مكتبة المثنّى، بغداد، العراق ١٩٥٨
- محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر: علاء الدين علي دَده السكتواري البوسنوي ٤٦ دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٨
- تاريخ التمدّن الإسلامي: جرجي زيدان ٦٩٨/٢ دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (بلا تاريخ).
- الفتوة عند العرب: عمر الدسوقي، الفهرس، مكتبة نهضة مصر بالفجّالة، القاهرة، ١٩٥١